الاحداث العربية

مؤتمر القمة الاسلامي يفتح
محاولة تحويل معركة التحرير الى

كان تهديد ١٥ دولة ، بينها ايران وتركيا وعدد من الدول الافريقية ، بالانسحاب من مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد في الرباط ، في حال « تجاوز البحث في المؤتمر موضوع المسجد الأقصى والاماكن المقدسة الاخرى في القدس » ، اولى بشائر حتمية فشل المؤتمر حتى قبل انعقاده ، وكانت أيضا دليلا كافيا على تحديد نوعية القرارات التي سينتهي اليها المؤتمرون .

ان المؤتمر عاجز عن الاسهام ولو جزئيا ، في القضية الفلسطينية ، بل ان مجرد انعقاده للبحث في الاجراءات التي يمكن أن « تتخذها » الدول الاسلامية ضد اسرائيل لحرقها المسجد الاقصى ، يكون قد اسقط مسالة القدس في الفخ الذي نصبته اسرائيل لها ، والذي تستهدف من ورائه تحويل المسالة الفلسطينية برمتها الى قضية صراع ديني ، وتضييق رقعة النزاع الحقيقي بحيث تضحي محصورة بطرح مسالة الاشراف الديني وضم القدس العربية نهائيا الى اسرائيل دون مضاعفات .

لقد كان من الطبيعي والمتوقع ان لا يستطيع المؤتمر الاسلامي الوصول الى ابعد ما وصل اليه من مقررات ، ذلك لان مجرد البدء من منطلقات خاطئة يؤدي ، اما الى الطريق المسدود واما الى الانحراف عن الطريق الصحيح ، فان مجرد عقد مؤتمر ديني يحاول تغطية قضية فلسطين يحقق الهدف الاسرائيلي باضفاء الصبغة الدينية على طبيعة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، والتي ما كانت ترددة طوال عشرين عاما .

وكانت مصادر المؤتمر قد ذكرت بان قرارات زعماء دول اسلامية يمثلون ٦٥٠ مليون مسلم ، ستكون ذات قيمة سياسية كبيرة في مواجهة اسرائيل ، ولكن ما الذي ينتظر من مؤتمر معظم الدول المشتركة فيه اما مرتبطة ارتباطا وثيقا بالاستراتيجية الاميركية المعادية لشعوب المنطقة ، واما تربطها علاقات دبلوماسية واقتصادية مع اسرائيل ؟ لقد اعتذرت ثمانية دول دعيت الى المؤتمر ، عن حضوره ، وسبعة منها تربطها علاقات صداقة وعلاقات دبلوماسية مع اسرائيل ، كذلك ، فان الدول الافريقية التي حضرت المؤتمر ـ ومنها تشاد ، غينيا ، مالي والسنغال ـ لها علاقات دبلوماسية وثيقة مع اسرائيل ، وكذلك الحال مع ايران وتركيا اللتين تحافظان على علاقات دبلوماسية وثيقة مع اسرائيل ، الى جانب العلاقات التي تربط كليهما الى الولايات المتحدة الاميركية والدور الخاص الذي يلعبه نظام الحكم في ايران كأداة في يد القوى الامبريالية اللاهثة في المنطقة أمام مد التحرر الوطني المتصاعد .

لم يكن متوقعا ان تتخذ هذه الدول التي اجتمعت في الرباط اي قرارات عسكرية لصالح الدول العربية التي تقف في خط المواجهة مع اسرائيل ، وذلك « لعدم رغبة » هذه الدول في التورط عسكريا في الصراع القائم في المنطقة . كما انه لم يكن متوقعا ان تقوم تلك البلدان ، التي تقيم علاقات دبلوماسية مع اسرائيل ، بالموافقة على اتخاذ اجراءات سياسية واقتصادية ضد اسرائيل .

وكان مصدر مغربي قد استدرك هذه الحقيقة عندما صرح قبل انعقاد المؤتمر مساء الاثنين الماضي ، بانه لن تكون هناك دعوات تسبب الحرج لبعض الدول الاسلامية المشتركة في المؤتمر ، والتي « الافضل اتخاذ موقف متحفظ » .

ولكن ، أليس مجرد هذا التصريح ، الذي يعبر عن حقيقة واقع معظم الدول المشتركة ، كافيا ، بما يتضمنه ، لاظهار فراغ المؤتمر من اي قيمة ايجابية عمليا ، على الاقل ، انطلاقا من وجهة نظر الذين اقتنعوا بجدوى انعقاد المؤتمر ، وباستثناء الفرد الذي أتحفه مشل هذا المؤتمر ذا الصبغة الطائفية ، بتمكين اسرائيل من سلاح دعائي يفعل فعل السحر في الراي العام العالمي ، ويساعدها في مخطط سلخ الاماكن المقدسة عن قضية القدس والقضية الفلسطينية ككل ، وازاحتها الحجر العثرة الاخير في وجه ضمها للقدس نهائيا ؟

ان الدول الاسلامية التي اجتمعت في الرباط وتربطها علاقات باسرائيل، كان لها متسع من الوقت ، منذ حرق

الملك الحسن الثاني يفتتح المؤتمر وخلفه شعار القمة .

الاقصى ، لاتخاذ اي اجراء ضد اسرائيل ينسجم ووزن تاثيرها من مؤامرة حرق المسجد . ولكن الذي حصل ان علاقات تلك الدولة واسرائيل لم تخضع لاي تغيير ولو جزئي ، واكتفى شاه ايران مثلا بالدعوة الى التبرع لاعادة ترميم المسجد ! واسرائيل ايضا كانت قد أعلنت بانها مستعدة لقبول التبرعات لتقوم بعملية الترميم !

ان المؤتمر الاسلامي الذي انعقد خلال الاسبوع ، كان مسرحية غريبة ودخيلة في المجابهة المتصاعدة بين قوة التحرر العربية ، وبين ما تمثله اسرائيل رجعيا واستعماريا ، وحاولت الرجعية العربية في هذه المسرحية التضليلية ، أن تعيد الى نفسها بعضا من الاعتبار على الصعيد الوطني، الا ان هذه المحاولة لم تتمكن من اخفاء حقيقة دور الحراب الذي تلعبه الحكومات الرجعية العربية في الاستراتيجية الاميركية، التي تستهدف ضرب وقمع حركة التحرر الوطني في المنطقة . ومن هنا كان حرص السعودية على عقد المؤتمر بهدف استرداد الاعتبار الضائع منذ سنين، ولانها ضمنت عدم ايجاد نفسها في المواقف المحرجة ، لكون اغلبية الحكومات المشتركة مرتبطة بخطة السياسة الاميركية المعادية للقضية العربية . وعلى اساس الاعتبارات ذاتها حرص المغرب على أن يحل المؤتمر ضيفا على آراضيه .

ان مجرد انعقاد المؤتمر الاسلامي هو وقوع في فخ اسرائيلي محكم يشوه طبيعة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ،

الحلف الثلاثي يكشف عن وجهه تحت ضغط الاحداث ويعترف بأن معركته هي مع الموجة التحررية والتقدمية

شهد لبنان خلال الاسبوعين الاخيرين نشاطا يمينيا محموما على الصعيدين الرسمي والشعبي . فقد قام رجال الحلف باتصالات سياسية واسعة ، كما اقاموا أكثر من مهرجان سياسي بهدف التحريض الطائفي المكشوف والتعبدي لقوى الثورة الفلسطينية وقوى الجماهير الشعبية التقدمية في لبنان .

فبعد مهرجان الحلف الطائفي في غزير أقام كميل شمعون مهرجانا سياسيا في بلدة قرطبا تكلم فيه رئيس حزب الوطنيين الاحرار عن لبنان وعن الاقطار العربية المحيطة وعن الوضع السياسي وعن الفلسطينيين الذين « اكرمهم » كميل شمعون وصحبه ولكنهم جحدوا نعمة شمعون والى ما هنالك من احاديث تعود الشعب على سماعها من رجال الحلف الثلاثي .

ان الحلف الثلاثي الذي يشكل الطرف الاكثر يمينية وارتباطا بقوى الاستعمار ضمن صفوف الطبقة الحاكمة قد اضطر نتيجة ضغوطات الاحداث للكشف عن مواقعه الحقيقية في خريطة الصراع في الشرق الاوسط حول القضية الفلسطينية ، فقد كان الحلف ، ولاشهر خلت ، يستطيع تغليف مواقفه المعادية بعبارات رومانطيقية مثل « قدسية العمل الفدائي » و « ضرورة تحرير فلسطين العربية » .. و « كلنا فدائيون » والى ما هنالك من الفاظ وشعارات لا يصدقها احد من الذين يعرفون جماعة الحلف وانتماءاتهم الطبقية والسياسية.

وكان رجال الحلف ، على ما يبدو، مقتنعين بان ظاهرة الكفاح المسلح الفلسطيني هي « ظاهرة انفعالية موقتة سطحية ليست اكثر جذرية ولا ابعد أثرا من ظاهرات مشابهة متعددة واكبت تاريخ القضية الفلسطينية منذ وعد بلفور » . واعتقد الحلف ان موقف الاطراء والمجاملة الكلامية هذا سيكسبه رصيدا جماهيريا يهتاجه الحلف لخوض معركة رئاسة الجمهورية دون أن يلزمه باية اعباء حقيقية ، ولكن بعد مرور أكثر من سنتين على هزيمة حزيران ، اكتشف الحلف ان ظاهرة الكفاح المسلح سنة ١٩٦٩ تختلف اختلافا جذريا عن كل التجارب السابقة لها في منطقة الشرق الاوسط ،

فهي قادرة على الاستمرار والنمو وقادرة على استقطاب الجماهير الفلسطينية والعربية وزجها في معركة المصير العربي . ولذلك فان الكفاح الفلسطيني المسلح اصبح ظاهرة ثورية عربية تهدد الوجود الرجعي والاستعماري في الاقطار العربية المحيطة ، ليس بفعل قواها الذاتية فحسب ولكن بفضل ردود الفعل الشعبية التي تثيرها في المحيط العربي .

هذا النمو الثوري الكمي والنوعي اجبر الرجعية العربية المرتبطة بالاستعمار في لبنان على اتخاذ مواقفها الحقيقية ، ونزع الاقنعة الزائفة عن وجهها ، وقد ابنت الوقائع في اكثر من قطر عربي ، وفي لبنان بصورة خاصة ، ان معركة تحرير فلسطين لا يمكن ان تتقاطع ضد اسرائيل والصهيونية فقط بل ، وفي الوقت نفسه ، ضد الامبريالية والرجعية العربية ايضا .

ولم يكن هذا التحديد لطبيعة العدو اختبارا فلسطينيا ثانيا ، بل كان في حقيقته رؤيا واضحة لواقع موضوعي، فالرجعية اللبنانية المرتبطة بالاستعمار مثلا تدرك ان تناقضها مع قوى الشعب اللبناني الذي تستغله وتستعبده ، اكبر من تناقضها مع اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل ، ولذلك فانها ترى الخطر الاول على مصالحها الطبقية يتمثل بالتحرك الشعبي الثوري لا بالتحرك العسكري الاسرائيلي الذي يهدف احتلال جزء من ارض لبنان ، واخضاع الطبقة الحاكمة وشعب لبنان معا للارادة الاسرائيلية .

ولذلك ، وبما ان التناقض الاول بالنسبة لشمعون وصحبه هو التناقض مع قوى الثورة الفلسطينية واللبنانية، فان التناقض الثاني مع اسرائيل يجب ان يخضع للتناقض الاول ! فعندما يخوض شمعون في بحث وسائل الرد فانه ينسى الخطر الاسرائيلي الذي يهدد أرض لبنان وشعب لبنان وحرية لبنان ويركز على الخطر الاول الذي يهدد الطبقة الحاكمة في لبنان ومصالحها الاقتصادية والسياسية ، فيقول على سبيل التحريض : « انا لا نعرف كيف لا تطبق القوانين على الذين يحملون شعارات ويضمرون شرا ضد لبنان » .

أما لبنان الذي يريد شمعون الدفاع عنه فانه لبنان النظام وليس لبنان الوطن ولبنان الشعب . ان شمعون يعرض الشعب المستقل للدفاع عن جلاديه .

أما الديمقراطية التي يتغنى بها شمعون وصحبه والحرية التي يظهرون كل الحرص عليها فانها تعني ديمقراطية الطبقة الحاكمة وحرية الطبقة الحاكمة، اي الديمقراطية والحرية لخمسة بالمئة من الشعب في لبنان ، وبما ان ديمقراطية الـ ٥ بالمئة من لبنان تتعارض مع ديمقراطية الـ ٩٥ بالمئة فان ديمقراطية شمعون وطبقته تعني الممارسة الدكتاتورية بالنسبة للبنان الـ ٩٥ بالمئة .

ولذلك فعندما يبدأ لبنان الشعب العامل المنتج (لبنان الـ ٩٥ بالمئة) يطالب بحريته وبطالب بديمقراطيته المغاصة فان كميل شمعون وصحبه يفقدون صوابهم ويستنفرون كل قوى الطائفية والعمالة ويصرخون (زعيم محضرين من الكارثة المحيقة بلبنان) اي الكارثة المحيقة بالطبقة التي ينتمي اليها شمعون وصحبه وبالنظام الذي يمثل مصالح وارتباطات هذه الطبقة .